﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: 19 - 22]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

من إثباتِ أنَّ النَّبيَّ موحًى إليه بالقُرآنِ، إلى إبطالِ عِبادةِ الأصنامِ

لَمّا جَرَى في صِفةِ الوحْيِ ومُشاهَدةِ رسولِ اللّهِ ﷺ جبريلَ عليه السلام، ما دلَّ على شُؤونٍ جَليلةٍ مِن عَظَمةِ اللّهِ تعالى، وشرَفِ رَسولِه، وشرَفِ جبريلَ؛ إذ وُصِفَ بصِفاتِ الكَمالِ، ومَنازلِ العِزَّةِ، كما وُصِفَ النَّبيُّ ﷺ بالعُروجِ في المَنازلِ العُلْيا؛ كان ذلك ممّا يُثيرُ موازَنةَ هذه الأحوالِ الرَّفيعةِ بحالِ أعظَمِ آلهَتِهم الثَّلاثِ في زعْمِهم، وهي: اللّاتُ، والعُزَّى، ومَناةُ الَّتي لا تَملِكُ تَصرُّفًا، ولا يُعرَجُ بها إلى رِفعةٍ، فكان هذا التَّضادُّ جامِعًا خَياليًّا يَقْتضي تَعقيبَ ذِكرِ تلك الأحوالِ بذِكرِ أحوالِ هاتِه[1].

بعد بيانِ استحقاقِ اللهِ الإلهيَّةَ متفرِّدًا بها أُنكِرَ على المشركين عبادةَ الأصنامِ

لَمّا أخبرَ سبحانَه مِن استقامةِ طريقِ نبيِّه ﷺ ممّا ثبتتْ رسالتُه بما أوحي إليه، وما أراه من آياته، الَّتي ظهرَ بها استحقاقُه سبحانه الإلهيَّةَ متفرِّدًا بها؛ سبَّبَ عنه الإنكار عليهم في عبادةِ معبوداتهم على وجهٍ دالٍّ على أنَّها لا تصلحُ لصالحةٍ، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾[2].

من تقريرِ الرِّسالةِ وبيانِ عظمةِ اللهِ إلى هدمِ الشِّرك

لَمّا قرَّرَ الرِّسالةَ أوَّلًا، وأتْبَعَه مِن ذِكرِ عَظَمةِ اللّهِ وقُدرتِه الباهرةِ بذِكرِ التَّوحيدِ، والمنْعِ عن الإشراكِ باللّهِ تعالى؛ وقَّفَهم على حَقارةِ مَعبوداتِهم، وهي الأوثانُ، وأنَّها ليستْ لها قُدرةٌ[3]، وذَكَر ما ينبغي أن يَبتدِئَ به الرَّسولُ، وهو التَّوحيدُ، ومَنْعُ الخَلقِ عن الإشراكِ[4].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 102، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 819.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 58.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 14.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 247.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱللَّٰتَ﴾: اسمُ صنمٍ كان في جوفِ الكعبة في الجاهليَّة، وقيل: كانَت لثَقيف في الطّائف، وقيل: لقُرَيْش في النَّخْلَة، واللّاتُ من لوى يلوي؛ لأنَّهم كانوا يلتوون عليها، أي: يعكفون، ويطوفون بها، أو أصلُ اللّات: اللّاهُ، فحذفوا منه الهاء، وأدخلوا التّاء فيه، وأنَّثوه؛ تنبيهًا على قصوره عن الله تعالى، وجعلوه مختصًّا بما يتقرَّبُ به إلى الله تعالى في زعمهم[1].

2) ﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: اسمُ صنمٍ كان لكنانة وقريش، وقيل: شجرةٌ من السَّمُر، كانت لبني غطفان يَعْبُدونَها، وكانوا بَنَوا عَلَيْها بَيْتًا، وأقاموا لَها سَدَنَةً، فبَعَثَ إليها رَسولُ الله ﷺ خالِدَ بنَ الوَليدِ، فهَدَمَ البَيتَ، وأحرق السَّمُرَة[2].

3) ﴿وَمَنَوٰةَ﴾: اسمُ صنمٍ كان يُعبَدُ في الجاهليَّة، كانتْ تعظِّمه العربُ[3]، ومناةُ: صَخْرَةٌ، وفي الصِّحاحِ: صَنَمٌ كانَ لِهُذَيْل وخُزاعَة بَيْنَ مَكَّةَ والمَدينَةِ، يَعْبُدونها مِن دونِ الله، مِن قَوْلِكَ: مَنَوتُ الشَّيءَ[4]، ولعلَّ أصلَ الاسم على صيغة (فَعَلة)، وهي تأتي للفاعليَّة، فكأنَّ معنى اسمها (المقدَّرة أو المبيِّنة للبخت) على زعمهم[5].

4) ﴿ضِيزَىٰٓ﴾: أصلها: الواو (ضوز)، أو الياء (ضيز)، ويدلُّ أصله على اعوجاجٍ، ومنه القسمة الضّيزى: النّاقصة[6]، تقول: ضِزْتُه حَقَّه، أي: مَنَعْتُه، ونَقَصْتُه، وبخسته، وضازَ في الحُكْم، أي: جارَ، وضيزَى: ظالمة، جائرة، غير مستوية، ناقصة، ومنافية للحقِّ[7]، ومعنى ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللُّغوي، أي: ناقصةٌ، جائرةٌ وغير منصفة[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ الله تعالى عمّا عليه المشركونَ مِن جهلٍ وسَفَهٍ، ويُبيِّنُ بُطلانَ عبادتِهم للأصنامِ،

(1) الراغب، المفردات، ونشوان، شمس العلوم، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (لوت)، وحاشية الصاوي على الجلالين، ص: 1875.
(2) ابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصرة: (عززى).
(3) وأحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصرة: (مناة).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مني)، وأحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصرة: (مناة).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أمن).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضوز)، (ضيز).
(7) الخليل، العين، وابن فارس، وابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (ضيز).
(8) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ضيز)، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 106.

فيقولُ: أفرأيتُم أيُّها المُشركونَ اللّاتَ والعُزَّى ومَناةَ الثّالثةَ الأُخرَى، تلك الأصنامَ الَّتي تَعبُدونَها مِن دونِ اللهِ، وتَزعُمونَ أنَّها بَناتٌ للهِ تعالى، أخبروني عنها، هل لها قدرة توصف بها؟ أم هي جمادات لا تعقلُ، ولا تنفع، ويتابعُ سبحانه موبِّخًا: أتَختارون الذُّكرانَ لأنفُسِكم، وتَنسُبونَ للهِ تعالى الإناثَ اللّاتي تَكرَهونَهنَّ، ولا تَرضَونَ بهنَّ بناتٍ لكم؟ قِسْمتُكم تلك - أيُّها المُشركونَ - قِسْمةٌ جائرةٌ ظالمةٌ[1].

السَّفَهُ في العقيدة، والظُّلمُ في القِسمة حالُ المشركين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستفهام بالهمزة:

المرادُ من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ استحضارُ صورةِ المُستَفْهَمِ عنه - وهو أصنامهم الجماديَّة - في أذهان المشركين؛ ليُحكَمَ عليها، وهي حاضرةٌ فيه؛ ليكون حضورها أعونَ على إدراكِ قيمةِ الحكم الَّذي يُحكَم به عليها، وهو أنَّها أسماءٌ، لا مُسمَّى لها قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[2].

التَّهكُّم بالمشركين وإبطالُ إلهيَّةِ أسماءٍ لا مُسمّى لها، وإنكارُ عبادتها

ويمكن أن يُرادَ بالاستفهام التَّقريرُ والتَّهكُّم على اعتبارِ الرُّؤية بصريَّة تَتعدَّى إلى مَفعولٍ واحدٍ، فلا تَطلُبُ مَفعولًا ثانيًا، والمعنى: كيف ترَونَ اللّاتَ والعُزَّى ومَناةَ بالنِّسبةِ لِما وُصِفَ في عَظَمةِ اللهِ تعالى، وشرَفِ مَلائكته، وشَرَفِ رَسوله ﷺ؟ وهذا تَهكُّمٌ بهم، وإبطالٌ لإلهيَّةِ تلك الأصنام بطَريقِ الفَحْوى، ودَليلُه العيانُ، أو أن يُرادَ به الإنكارُ على اعتبار الرُّؤية علميَّةً قَلبيَّةً، والمعنى: أزَعَمْتُم اللّاتَ والعُزَّى ومَناةَ؟ فحُذِفَ المَفعولُ الثّاني اختصارًا، والتَّقديرُ: أزَعَمْتُموهنَّ بَناتِ اللهِ؟ أتَجْعَلون له الأُنثى، وأنتُم تَبْتَغون الأبناءَ الذُّكورَ؟[3].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 522، والحجازي، التفسير الواضح: 3/ 559.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 179.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 103.

معنى الفاء في ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾، وفائدتها:

الانتقال من عظمةِ الآياتِ إلى بيانِ فسادِ المعبودات

الفاءُ لتَفريعِ الاستِفهامِ وما بعْدَه على ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ المُفرَّعة على جملة: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1]، فكأنَّه يقولُ لهم: أخبرتكم بما رأى النَّبيُّ ﷺ من آياتِ الله الكبرى، فأخبروني بما ترونَ من هذه الأصنام الخسيسة، فشتّان بين ما رأى، وترون، أو هي لترتيب الرُّؤيةِ على ما ذكر من شؤونه تعالى المنافية لها غايةَ المنافاة[2]، وللتَّعقيب، أي: عقيب ما سمعتم من عظمةِ آيات الله تعالى الكبرى ونفاذِ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثَّرى، فانظروا إلى اللّات والعزّى، فتعلموا فسادَ ما ذهبتم إليه، وعوَّلتم عليه[3].

دلالةُ التَّعبير بفعل ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾:

البصريَّةُ والعِلميَّة تصوِّرُ حقارةَ الأصنام

الرُّؤيةُ في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ مزيجٌ من البصريَّة والعِلميَّة، وكلتاهما مقصودٌ في مقامِ تحقيقِ معبوداتهم المزعومة، ولها مدخلٌ في تصوُّرِ المعنى المراد، وهو حقارةُ الأصنام[4]، فالرُّؤيةُ البصريَّةُ تُري النّاظرَ إليها أنَّها كتلٌ جماديَّة صمّاء، وهذه حقارة، والرُّؤية العلميَّة تُري المتأمِّلَ فيها أنَّ هذه الأصنام والعدم سواءٌ لا تنفعُ، ولا تضرُّ، ولذلك فإنَّنا نقولُ: إذا حُملتِ الرُّؤيةُ على البصريَّة؛ اندمجَ فيها معنى الرُّؤية العلميَّة؛ لأنَّها مسبَّبة على البصريَّة، وإذا قلنا: إنَّ الرُّؤيةَ علميَّةٌ اندمجَ فيها معنى الرُّؤية البصريَّة؛ لأنَّها سببٌ فيها، أي: استحضروا صورةَ اللّات والعزّى ومناة في أذهانكم، ثمَّ اسمعوا الحكمَ عليها[5].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 102.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 158.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 248.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 103 - 104.
(5) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 180.

دلالةُ تعريف ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾:

حـين يُـعـرَّفُ الباطل يُفضح

لامُ التَّعريف في ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ للعهد الذِّهنيِّ، فهما عَلَمٌ على معبودين معروفين لدى المخاطَبين من المشركين، و﴿ٱللَّٰتَ﴾: صنمٌ كان لثقيف بالطّائف، و﴿وَٱلۡعُزَّىٰ﴾: اسمُ صنمٍ حجرٍ أبيض عليه بناء، وكان جمهور العرب يعبدونه وبخاصَّة قريش[1]، وهو تعريفٌ يُقصد به التَّعيين، بما يحقِّقُ غرضَ الاستفهام، وهو استحضارُ صورة هذه الأصنام في الذِّهن، ويُقصد كذلك التَّوبيخ بإظهارِ عظمةٍ زائفةٍ لِما لا يستحقُّ التَّعظيمَ.

توجيه العطف بالواو:

التَّشريكُ يزيدُ حدَّة التَّوبيخِ

جاء العطفُ بين اللّات والعزَّى بـ(الواو)؛ للجمع بين أشهرِ معبوداتهم؛ فقد كانا أعظمَ أصنامهم شهرةً ومكانةً، فإنَّهم كانوا يحلفون بهما[2]، وهذا الجمعُ بين رمزين كبيرين للشِّركِ، ممّا يزيدُ من حدَّة التَّوبيخ والاستنكار، والعطفُ كذلك للتَّشريك بينهما في التَّوبيخ والإنكار، وفي كون كلٍّ منهما باطلًا في الألوهيَّة.

سرُّ الوصف:

التَّهكُّمُ والتَّسفيهُ بأصنامهم مهما تفاوتت في وجوهها أو مرتبتها عندهم

وُصفت ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ بـ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾، وهي صفةٌ كاشفة تؤكِّد ترتيبها بعد اللّات والعُزّى في الذِّكر والمكان؛ إذ كانت أقلَّ شهرةً؛ لبُعد موضعها عن قريش[3]، أي: هما صفتان للتَّأكيد، وقد تكون صفة ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ مِن التَّأخُّرِ في الرُّتبةِ والمَنزلةِ[4]، أو من التَّأخُّر الوجودي[5]، أو أن تكون مناة هي أعظم هذه الأوثان، فيكون التَّأكيد بهاتين الصِّفتين لأجل عظمها[6]، أو أن تكون صفةً للعُزَّى، وإنَّما

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 104.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 58.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 105.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 159.
(5) الزمخشري، الكشاف: 4/ 423.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 17.

أخَّرها رِعايةً للفاصلةِ[1]، أي: فيه تَقديمٌ وتأخيرٌ، تَقديرُه: والعُزَّى الأُخْرى، ومَناة الثّالثة الذَّليلة[2]، أو أن يكون الوصفُ بهاتين الصِّفتين ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ جَرى على أُسلوبِ العرَبِ؛ إذا أخبَروا عن مُتعدِّدٍ، وكان فيه مَن يُظَنُّ أنَّه غيرُ داخلٍ في الخبَرِ لعَظَمةٍ، أو تَباعُدٍ عن التَّلبُّسِ بمِثلِ ما تَلبَّسَ به نُظراؤه؛ أن يَختِموا الخبَرَ، فيَقولوا: وفلانٌ هو الآخَرُ، ووَجْهُه هنا: أنَّ عُبّادَ مَناةَ كَثيرون في قَبائلِ العرَبِ، فنَبَّه على أنَّ كَثرةَ عَبَدتِها لا يَزيدُها قوَّةً على بَقيَّةِ الأصنامِ في مَقامِ إبطالِ إلهيَّتِها، وكلُّ ذلك جارٍ مَجرى التَّهكُّمِ والتَّسفيهِ، والتَّوبيخِ والتَّبكيتِ لهم[3].

سرُّ ترتيبِ الأصنامِ تقديمًا وتأخيرًا:

ترتيبُ الأصنامِ بين التَّفاضلِ في شرفِ الصّورة وجغرافيَّةِ المكان

رُتِّبَتِ الأصْنامُ الثَّلاثةُ: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ﴾ بهذا التَّرتيب؛ إمّا بحسبِ درجاتِ الشَّرفِ التَّصويريِّ؛ إذ كانَ الأوَّلُ على صورَةِ آدَميٍّ، والعُزّى على صورة نَباتٍ، ومَناةُ على صورَةِ صَخْرَةٍ، هي جَمادٌ، وهي الأدنى مرتبةً، وهذا على عدِّ ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ تُستَعمَلُ للذَّمِّ[4]، أو بحسبِ الشُّهرةِ الجغرافيَّة؛ لأنَّ اللّاتَ والعُزَّى كانتا أشهرَ عند قريش والعرب من مناة؛ لبعدِ مكانها عنهم، ولأنَّ ترتيبَ مواقع بيوتِ هذه الأصنام كذلك، فاللّاتُ في أعلى تهامة بالطّائف، والعُزّى في وسطها بنخلة بين مكَّة والطّائف، ومناةُ بالمشلّلِ بين مكَّة، وهذا على عدِّ ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفة كاشفة تؤكِّدُ ذكر مناة[5]، أو أنَّه أخَّرَ مناة ليؤكِّدها بصفتي ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، فقد ذُكِر أنَّها كانت أعظمَ هذه الأوثان قدرًا، وأكثرها عابدًا[6].

(1) زكريا الأنصاري، فتح الرحمن، ص: 539 - 540.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 17.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 17، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 105.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 247.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 105.
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 201.

بلاغةُ الاستفهام بالهمزة في قوله: ﴿أَلَكُمُ﴾:

قولُه تعالَى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ ارتقاءٌ في الإبطالِ والتَّهكُّم والتَّسفيهِ والتَّوبيخِ، وهي مُجاراةٌ لاعتقادِهم أنَّ تلك الأصنامَ الثَّلاثةَ بَناتُ اللهِ، وأنَّ الملائكةَ بَناتُ اللهِ، أي: أجعَلْتُم للهِ البناتِ خاصَّةً، وأنتم تَعلَمون أنَّ لكم أولادًا ذُكورًا وإناثًا؟ وأنَّكم تُفضِّلون الذُّكورَ، وتَكرَهون الإناثَ، وقد خصَصْتُم اللهَ بالإناثِ دونَ الذُّكورِ، واللهُ أولى بالفضْلِ والكَمالِ لو كُنتُم تَعلَمون؟ فكان في هذا زيادةُ تَشنيعٍ لكُفْرِهم؛ إذ كان كُفْرًا وسَخافةَ عقْلٍ[1].

الارتقاءُ في إبطالِ قسمةِ المشركين، وزيادةُ تسفيهِ كفرهم وسخافةِ عقلهم

معنى اللّام في (لكم) وعود ضمير الخطاب:

لامُ (لكم) في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ لامُ الاختصاص والاستحقاق، والضَّمير (كم) في (لكم) عائدٌ إلى المشركين المخاطَبين الَّذين كانوا يقولون: الملائكةُ بناتُ الله، ويزعمون أنَّ الأنثى لله، والذَّكرَ لهم.

ادِّعاءُ استحقاقٍ يُظهرُ تناقضهم وجهلهم وسوءَ أدبهم مع الله

وتفيد هذه اللّامُ أنَّ المشركين يدَّعون استحقاقهم للذُّكور دون غيرهم، والمعنى: أَلَكُمُ الذَّكرُ مختصًّا بكم ومقصورًا عليكم؟ والسّياقُ كلُّه استفهامٌ إنكاريٌّ يُظهر تناقضهم وجهلهم وسوءَ أدبهم مع الله تعالى.

دلالةُ تعريف ﴿ٱلذَّكَرُ﴾ و﴿ٱلْأُنثَىٰ﴾:

اللّامُ في ﴿ٱلذَّكَرُ﴾ يفيدُ الاستغراقَ أو الجنس بأكمله، أي: ألكم الذُّكورُ الَّذين تفضِّلونهم، وترونهم النَّوعَ الأعلى، وله الإناثُ الَّذي تعدّونهم النَّوعَ الأدنى؟[2]، وأوثِرَ الإفرادُ لموافقة رؤوس الآيات المبتناةِ على الألف المقصورة[3]، وقد جاء التَّعريفُ باللّام؛ ليُبرِزَ شناعةَ

المبالغةُ في بيانِ شناعة كفرهم وسفاهةِ عقولهم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 158، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 106.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 59.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 180.

كفرهم وسفاهةَ عقولهم، بأن ينسبوا لله النَّوعَ الأدنى في أعرافهم الفاسدة، الَّذي يأنفون منه.

توجيهُ العطف بالواو:

في عطْف قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾، على قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ بالواو دلالةٌ على اشتراكٍ في المعنى العام للسّياق التَّوبيخي، أي: أتدَّعونَ الأفضلَ لأنفسكم، وتجعلون الأدنى لله؟ وإبرازٌ للموازنة بين الجملتين بما يُظهرُ المفارقةَ والتَّناقضَ في عقليَّة المشركين.

الاشتراكُ في المعنى العام للسّياق التَّوبيخي وإبرازُ التَّناقض في عقليَّة المشركين

فائدة شبه الجملة (له)، وعود الضَّمير فيه:

أفادتْ شبهُ الجملة (له) في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ التَّخصيصَ، أي: له وحده الأنثى لا لغيره، وهذا على سبيلِ الإنكار والتَّوبيخ، والمعنى: ألكم أنتم الذَّكرُ الَّذي تفضِّلونه، وتجعلون لله ما تكرهون؟ والضَّميرُ في (له) يعودُ إلى الله سبحانه، ولم يصرِّحْ بالاسم الجليل؛ تنزيهًا لذكره في هذا المقام.

إنكارُ تخصيصِ المشركين الإناثَ لله وتنزيهُ الذّاتِ الإلهيَّة

بلاغةُ تقديم ﴿ٱلذَّكَرُ﴾ على ﴿ٱلْأُنثَىٰ﴾:

قدَّم البيانُ القرآنيُّ ما زعموه لأنفسهم على ما زعموه لله؛ لأنَّ الخطابَ بدأ معهم قبل ذكر هذه العبارة؛ إذ قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾، فناسبَ تقديمَ الخطاب معهم أن يقدِّم ما زعموه خالصًا لهم[1]، ولتحقيقِ جماليَّة الفاصلة في الآية؛ لأنَّ السّورة جاءتْ بفواصل منتهية بألف مقصورة: (﴿ٱلْأُنثَىٰ﴾ - ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ - ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾).

في تقديمِ زعم المشركين لأنفسهم مراعاةٌ لسياقِ الخطاب ولجماليَّةِ الفاصلة

بلاغةُ تقديم شبهَي الجملة الخبرين: (لكم - له) على المبتدأين:

تَقديمُ (لكم) و(له) في جُملةِ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾؛ للاهتمام بالاختصاص، الَّذي أفادَتْهُ اللّامُ اهتمامًا في مَقام التَّهكُّم والتَّسفيهِ لا الإقرار، على أنَّ في تَقديم ﴿وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ إفادةَ

الاهتمامُ بالاختصاص على سبيلِ التَّهكُّمِ والتَّسفيهِ لا الإقرار

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 180.

الاختِصاصِ، أي: وله وحده الأنثى دونَ الذَّكَرِ[1]، كما أنَّه تقديمٌ يتناسبُ مع السّياق الَّذي يستنكرُ فيه قسمتهم الجائرة بنسبتهم لله ما يأنفون منه، ومع الفاصلة الصَّوتيَّة المنتهية بألف مقصورة؛ ممّا يحقِّقُ جمال السَّجعِ والتَّناسقِ الإيقاعيِّ في السّورة.

دلالةُ الاعتراض في قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾:

الاستفهامُ والحكم عليه في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ من حيث الوضعُ النَّظميُّ هو اعتراضٌ بين الاستفهام الأوَّل ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ﴾ وجوابه، أو الحكم عليه: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾، وسرُّ هذا الاعتراض هو الاهتمامُ به؛ لأنَّ المشركين حين يسمعون ذِكرَ أصنامهم تتوقَّدُ أذهانهم، وتنشطُ مشاعرهم، وفي هذه اللَّحظة من وفرةِ النَّشاط ينزلُ عليهم هذا الاستفهام كالصّاعقة المباغتة، ويستقرُّ المعنى الإنكاريُّ في أنفسهم أيَّما استقرار[2].

فـي الاعـتراضِ توظيفُ الانفعال النَّفسي لترسيخِ الحكم الإنكاري

بلاغةُ الطِّباق بين ﴿ٱلذَّكَرُ﴾ و﴿ٱلۡأُنثَىٰ﴾:

الجمعُ بين الذَّكر والأنثى في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ طباقٌ إيجابيٌّ من مقتضيات الحال[3]، وهو يكشِّف دلالةَ جورِ القسمة، بزعمهم أنَّ لله تعالى البنات، وأنَّ لهم البنين.

المقابلة تُظهِرُ جـورَ القسمةِ عند المشركين

نكتة فصل الآية عن سابقتها:

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ قوله: ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ عمّا قبله، ولم يربط بينهما بعاطف؛ لِما بينهما من كمالِ اتِّصالٍ؛ إذ جاءتِ الآيةُ الثّانية تَعليلًا للإنكارِ والتَّوبيخ والتَّهكُّم المُفادِ مِن الاستفهام في ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾، أي: قد جُرْتُم في القِسمةِ، وما عدَلْتُم، فأنتم أحِقّاءُ بالإنكار[4].

قسمةُ المشركين الـجـائـرة محلُّ الإنكارِ والتَّوبيخ والتَّهكُّمِ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 106.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 179.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 180.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 106، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 69.

نكتةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾:

قسمةُ المشركين بعيدةٌ في العقلِ وعـن الـعـدلِ والحقِّ

الإشارةُ بكلمةِ ﴿تِلْكَ﴾ إلى المَذكورِ باعتبارِ الإخبارِ عنه بلَفظِ ﴿قِسْمَةٌ﴾، فإنَّه مُؤنَّثُ اللَّفظِ[1]، أي: تلك القسمةُ قسمةٌ ضيزى، أو تلك النِّسبة قسمةٌ ضيزى، وهي نسبةُ البنات إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: 62]، فلمّا نسبوا إلى الله البناتِ؛ حصلَ من تلك النِّسبة قسمةٌ جائزة[2]، واستعمالُ اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾ الَّذي يُستخدمُ للبعيد؛ لتصويرِ هذه القسمة على أنَّها بعيدةٌ في العقل، بعيدةٌ عن العدل، بعيدةٌ عن الحقِّ[3]، وفي هذا توبيخٌ خفيٌّ، كأنَّه يقول لهم: كم أنتم بعيدون عن الصّواب؟.

فائدة التَّعبير بـ﴿إِذًا﴾:

الجوابُ الإنكاريُّ يكشفُ فسادَ الـزَّعـم وقبحَ القسمة

﴿إِذًا﴾ في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا﴾ حرْفُ جَوابٍ أُريدَ به جَوابُ الاستِفهامِ الإنكاريِّ، أي: تَرتَّبَ على ما زعَمْتُم أنَّ ذلك قِسمةٌ ضيزَى، أي: قسَمْتُم قِسمةً جائرةً[4]، وتقدير ما كانت جوابًا له هو: نسبتكم البناتِ إلى الله تعالى - إذا كان لكم البنون - قسمةٌ ضيزى، أو نسبتكم البناتِ إلى الله تعالى، مع اعتقادكم أنَّهنَّ ناقصاتٌ، واختياركم البنين، مع اعتقادكم أنَّهم كاملون - إذا كنتم في غايةِ الحقارة، واللهُ تعالى في نهايةِ العظمة - قسمةٌ ضيزى[5].

نكتة تنكير ﴿قِسْمَةٌ﴾:

قِسمتُهم عظيمةٌ في الجور والظُّلمِ والجهل

نكَّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿قِسْمَةٌ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّهويل والتَّفخيم في البشاعة، أي: تلك قسمةٌ عظيمةٌ في الجورِ والظُّلم والجهل،

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 106.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 249.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 59.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 106.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 249.

فهي جائرةٌ ناقصةٌ ظالمةٌ عرجاء غيرُ معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حيًّا[1].

سرُّ وصف ﴿قِسۡمَةٌ﴾ بـ﴿ضِيزَىٰٓ﴾:

غرابةُ اللَّفظِ أشدُّ الأشياءِ مُلاءمةً لغرابةِ قِسمتهم الجائرة

وصفَ البيانُ الحكيم القسمةَ بلفظة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾، وهي لفظةٌ غريبةٌ، هي مِن أغربِ ما في القرآنِ، ومعَ ذلك فإنَّ حُسنَها في نظم الكلامِ مِن أغربِ الحُسنِ وأعجبِه، فهي لَفظةٌ في مَوضعِها لا يسُدُّ غيرُها مسَدَّها، فسورةُ (النَّجم) كلُّها مَسجوعةٌ على حَرْفِ الياءِ اللَّيِّنة، فلمّا ذكَرَ الأصنامَ وقِسمةَ الأولادِ، وما كان يَزعُمُه الكفّارُ، قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾؛ فجاءتْ هذه اللَّفظةُ على الحرْفِ المَسجوعِ، الَّذي جاءتِ السّورة جميعُها عليه، هذا مِن النّاحيةِ اللَّفظيَّةِ، أمّا مِن ناحيةِ المعْنَى؛ فإنَّها في مَعرِضِ الإنكارِ على العربِ المشركينَ؛ إذ وَرَدت في ذِكرِ الأصنامِ، وزعمِهم في قِسمةِ الأولادِ، فكانت غرابةُ اللَّفظِ أشدَّ الأشياءِ مُلاءمةً لغرابةِ هذه القِسمةِ الَّتي أنكَرها، والغرَضُ تَهجينُ قَولِهم، وتفْنيدُ قِسمتِهم، والتَّشنيعُ عليها، وهذا مِن أعجَبِ ما ورَدَ في القرآنِ الكريمِ مِن مُطابَقةِ الألفاظِ لمُقْتضَى الحال[2].

وجهُ إيثار لفظ ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ بصيغة التَّفضيل:

في صيغةِ التَّفضيلِ مبالغةٌ في الظُّلم الفاحش والتَّعدي البشع

﴿ضِيزَىٰٓ﴾ وزنه فُعْلَى من ضازه حقَّه؛ إذا نقصه، وأصلُ عينِ ضاز همزةٌ، يقال: ضأزه حقَّه كمنعه، ووَزْنُ ضيزى: فُعلى اسم تَفضيل (مِثْلَ كُبْرَى وطوبَى)، أي: شديدةُ الضَّيز، فلمّا وقعتِ الياءُ السّاكنة بعد الضمَّة حرَّكوه بالكسر محافظةً على الياء؛ لئلّا يقلبوها واوًا فتصير (ضوزى)، وهو ما كرهوه[3]، وفي التَّفضيل مبالغةٌ فيما

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 59.

(2) ابن الأثير، المثل السائر: 1/ 162، والرافعي، إعجاز القرآن، ص: 158، ودرويش، إعراب القرآن: 9/ 355 - 356.

(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 107.

تحملهُ من معانٍ من الظُّلمِ وعدمِ العدل والاعوجاج والجورِ وعدم الاستواء والنَّقصِ وعدم الإنصاف والبخسِ والمنافاة للحقِّ[1].

بلاغةُ الاحتباك في الآية:

الاحتباكُ حُسْنُ إيجازٍ في التَّعبير

في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ احتباكٌ؛ إذ دلَّ ذكرُ اسم معبوداتهم في أسلوبِ الإنكار على حذف إنكارِ كونها آلهةً، ودلَّ إنكارُ تخصيصه بالإناث على حذفِ ما يدلُّ على أنَّهم جعلوها بناته[2]، وفي هذا حسنُ الإيجاز في التَّعبير وجمالُهُ؛ إذ لو لم يكن في الآية احتباكٌ؛ لظهرَ الكلام ركيكًا ضعيفًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الضّيزَى والجور والظُّلم:

اتِّخاذُ الشُّركاء مع اللـه أشدُّ الظلم وأبشعُه

الضّيزى ظلمٌ فاحشٌ وتعدٍّ بشعٌ، فهو ظلمٌ مع اعوجاجٍ وتحريفٍ للحقوق، وهو أبشعُ وأشدُّ من الجور والظُّلم، فقسمةٌ ضيزى تعني قسمةً ظالمة، غيرَ عادلة، معوجَّة، جائرة غير مستوية، ناقصةً غير تامَّة، وغير منصفة، مانعة، فيها بخسٌ ومنافيةٌ للحقِّ[3]، أمّا الجورُ؛ فأخصُّ من الظُّلم، فالجورُ خلافُ الاستقامة في الحكم، ونَقيضُ العَدْلِ، وضِدُّ القَصْدِ، أو المَيلُ عَن الحقِّ والعدل، فأصلُ الجور العدولُ عن الحقِّ[4]، وأمّا الظُّلم؛ فأصله نقصانُ الحقِّ؛ إذ هو وضعُ الشَّيءِ في غيرِ موضعه المختصِّ به إمّا بزيادةٍ أو بنُقْصانٍ[5]، فهو

(1) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (ضيز).

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 59.

(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (ضيز).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (جور)، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 231.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (ظلم)، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 231.

عامٌّ يشملُ كلَّ تعدٍّ على الحقِّ؛ سواءٌ كان صغيرًا أم كبيرًا؛ إذ يتراوحُ الظُّلمُ ما بين أكبرِ الكبائرِ، وهو الشِّركُ باللّٰه تعالى، وبين ارتكابِ أصغرِ الذُّنوب، ومن هنا كان استعمالُ لفظة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ في الآية أنسبَ مع السّياق؛ لاتِّساع دلالتها وكونها أشدَّ وأبشعَ أنواعِ الظُّلم؛ فاتِّخاذُ الشُّركاء مع اللّٰه، وجعْلُهم له ما يكرهون من البنات والذُّكور لهم، من أعظمِ الظُّلم وأشدِّه وأبشعه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"